

القرآن
يُسقط نظرية التطور
ويَصْمِ آذان الأَنْعَام

محمد السعيد مشتهرى

لقد جاءت هذه الدراسة للرد على المسلمين الذين أرادوا أسلمة نظرية التطور وإقامتها على أساس قرآنية، وليس لبيان وجهة نظر المؤيدين والمعارضين، ذلك أن أي باحث جاد يستطيع أن يقف على وجهات النظر المختلفة حول هذه النظرية من خلال شبكة الإنترنت.

لقد نزلت معظم الآيات القرآنية المتعلقة بخلق الإنسان للرد على منكري البعث، ولبيان أن البعث حقيقة إيمانية منطقية يستطيعون الوقوف عليها من خلال عالم الشهادة، وترد على الذين يفترون على الله الكذب في منظومة الخلق، الذين قال الله عنهم:

«مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَخَذِّدًا الْمُضَلِّلِينَ عَضْدًا»

وقال تعالى:

«أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبَدِّي اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»

ثم لفت نظرهم إلى البراهين الدالة على البعث الموجودة أمامهم، فقال بعدها:

«قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَاءَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

القواعد القرآنية التي قسمت ظهر التطور الدارويني

أولاً:

لا يوجد مخلوق شاهد «كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»، وإنما جاءت هذه الآية لفت نظر المكذبين إلى الحقائق الكونية المشاهدة، الدالة على تجدد «منظومة الإحياء والإماتة» الخاصة بالمخلوقات الحية، والتي تحدث على مدار الثانية من الزمن.

لقد أنكر الله على الذين لم يشاهدو خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم، إفحام أنفسهم فيما ليس لهم به علم، وأن يتحدثوا عن عالم خلق بالإرادة الإلهية «كن»، ويستحيل أن يحصلوا على أي معلومات عنه.

ثانياً:

لم يفرق الله تعالى بين كلمتي «إنسان» و«بشر»، في سياق الحديث عن «منظومة الخلق»، فقال تعالى عن خلق الإنسان من صلصال:

١ - «وَلَقَدْ خَلَقْنَا (الإِنْسَانَ) مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِّا مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِنْ نَارٍ السَّمُومُ»

٢ - «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ (بَشَرًا) مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِّا مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَتَعْوَذُ لَهُ سَاجِدِينَ»

وقال تعالى عن خلق الإنسان من طين:

١ - «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَا خَلْقَ (الإِنْسَانِ) مِنْ طِينٍ»

٢ - «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ (بَشَرًا) مِنْ طِينٍ»

ثالثاً:

عندما أراد الله بيان أن خلق الإنسان مر بمراحل، ذكر ذلك بدلالة قطعية، فقال تعالى:

«مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا»

الأطوار: جمع طور، أي المرة من الأفعال أو من الزمان.

ويستحيل أن يلفت الله نظر الناس إلى هذه الأطوار، في سياق بيان دلائل الوحدانية، وهم لم يشاهدون هذه الأطوار التي مروا بها، إذن فهو سبحانه يلفت نظرهم إلى أطوار خلق الإنسان في بطن أمّه، بداية من طور النطفة، قال تعالى:

«يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلَاثٍ»

ثم جاء بتفاصيل أكثر لهذه الأطوار فقال تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»

إذا كان «آدم» هذا الإنسان العاقل الكامل نسخة مطورة للإنسان الأول غير العاقل، فلماذا لم يذكر الله أطوار خلقه في سياق بيان نشأة الإنسان الأول؟!

رابعاً:

إن كل ما جاء في كتاب الله عن مراحل تسوية الإنسان وتصويره جاء على النحو التالي:

- ١ - «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقُوكُمْ مِّنْ (تُرَابٍ) ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ»
- ٢ - «هُوَ الَّذِي خَلَقُوكُمْ مِّنْ (طِينٍ) ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمٌّ عِنْدُهُ»
- ٣ - «فَاسْتَقْبِلُوهُمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لازِبٍ»
- ٤ - «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ (صَلْصَالٍ) كَالْفَخَارِ»
- ٥ - «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ (حَمَاءٍ مَسْنُونٍ) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ..»
- ٦ - «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ (صَوَرْنَاكُمْ) ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنْ السَّاجِدِينَ»

خامساً:

إن المتذر لآيات الخلق والجعل والإحياء والإماتة، يعلم أنها لم تنزل لتعطي الناس دروساً في علوم الطبيعة، ثم تأخذهم إلى المعمل لتثبت لهم صحة ما درسوه، وإنما لتفت نظر العلماء المتخصصين منهم، إلى دراسة «منظومة الخلق» دراسة جادة لعلهم يؤمنون أن القرآن حق، قال تعالى:

«سَرِّيْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»

إن الذي يتعامل مع آيات الخلق والجعل والإحياء والإماتة على غير الوجه الذي نزلت من أجله، «سيضل ويُضل» خاصة أن هذه الآيات لم تتعرض إلى مرحلة ما قبل خلق الذكر والأنثى إلا ما ذكره الله في سورة النساء، فقال تعالى:

«يَا أَيُّهَا (النَّاسُ) اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) وَخَلَقَ مِنْهَا (زَوْجَهَا) وَبَثَّ مِنْهُمَا (رِجَالًا) كَثِيرًا (وَنِسَاءً)»

تدبر: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»

ذكر الناس بأنهم خلقوا من نفس واحدة، لعلهم يتقنون، وأن هذه النفس خلقت بالإرادة الإلهية «كن»، فكان جنساً إنسانياً، ذكرًا «آدم»، وأنثى «زوجه»، قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا»

سادساً:

فهل يعقل أن يُذَكِّر الله الشعوب والقبائل بنعمة خلقهم من ذكر وأنثى، الذي حدث في رحم النساء، ثم لا يُذَكِّرهم بالحدث الأهم وهو تطورهم من خلية تنقسم على نفسها، إلى أن أصبحوا بشرًا عقلاً، خاطبهم الله بقوله:

«يَا بَنِي آدَمَ لَا يَقْتَنَنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ (أَبْوَيْكُمْ) مِنِ الْجَنَّةِ»

وذلك بعد أن أخذ منهم ميثاق «الوحدانية»، قال تعالى:

«وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمُ الَّذِينَ قَالُوا بَلِي شَهِدْنَا»

سابعاً:

لقد خلق الله «آدم» بإرادة «كن» وخلق «زوجه» بإرادة «كن» والتقى ما «آدم» ببوية زوجة «زوجه» فكان «بنو آدم»، قال تعالى: «أَيَحْسَبُ (الإِنْسَانُ) أَنْ يُتْرَكَ سُدًّا. أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. (فَجَعَلَ) مِنْهُ الْزَّوْجَيْنِ (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى). أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْبِيَ الْمَوْتَى؟»

ثم تدبر ماذا قال الله في سياق الرد على منكري البعث:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ (ثُمَّ) مِنْ نُطْفَةٍ (ثُمَّ) مِنْ عَلَقَةٍ (ثُمَّ) مِنْ مُضْنَغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِتُبَيَّنَ لَكُمْ وَنَقْرٌ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا..»

نعم، لقد خلق الله الناس من «تراب»، وجاءت كلمة «ثم»، التي تفيد «الترتيب والتراخي في الزمن» لبيان مراحل تطور خلق الإنسان في رحم أمه، وهي «أشهر» وليس «ملايين» السنين. علماً بأن خلق الإنسان الأول آدم، «قبل زواجه»، كان بالإرادة الإلهية «كن»، قال تعالى:

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»

ثامناً:

لقد خلق الله الكائنات الحية على نظام «الزوجية»، وخلق كل نوع من أصل يختلف عن غيره، قال تعالى:

«وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ»

وقال تعالى لنوح عليه السلام:

«قُلْنَا أَحْمِلُ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْتَنْيْنِ»

وليس معنى اشتراك بعض الكائنات في صفات معينة، أن تكون كلها قد خلقت من أصل واحد «الخلية» وأن «آدم» نسخة مطورة لهذه «الخلية»، فقد خلق الله الكائنات الحية على نظام «الزوجية»، وذلك بالإرادة الإلهية «كن»، قال تعالى:

«وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

فهل كون الماء أصلاً خلق الله منه الدواب، يجعلنا نقول إن أصل الدواب واحد، وهو التطور التلقائي للماء؟!

تاسعاً:

لقد فرق الله بين «الخلق» و«الجعل»، فقال تعالى عن خلق الإنسان الأول «آدم» عليه السلام:

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي (خَالِقٌ) بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِّ مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»

وقال تعالى عن الوظيفة التي سيقوم بها «بنو آدم» بعد خلق أبيهم «آدم»:

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي (جَاعِلٌ) فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

وبتذير سياق الآيتين، هل يمكن أن يقبل مؤمن، أسلم وجهه الله تعالى، أن يكون الله قد خلق بشراً:

١ - من «صَلْصَالٍ مِنْ حَمَّا مَسْنُونٍ»

يعني قطعة جماد

٢ - ثم بعد ملايين السنين طوره وجعل مظهره أكثر جمالاً
«فَإِذَا سَوَّيْتُهُ»

لا يزال جماداً

٣ - ثم بعد ملايين السنين نفح فيه الروح:

«وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»

ليصبح «آدم» الذي أمر الله الملائكة السجود له؟!

هل انتظرت الملائكة، بعد قول الله لها «إِنِّي خَالقُ بَشَرًا» ملايين السنين، حتى وصل هذا البشر إلى مرحلة النضوج العقلي، وأصبح قادراً على تحمل مسؤولية «الخلافة» وعندها سجدت له؟!

فأين سند ذهب بقوله تعالى:

«قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا (خَلَقْتُ) بِيَدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ الْعَالِيَنَ»

فما المقصود بجملة «خَلَقْتُ بِيَدِيَّ؟»؟

هل خلق البشر في مرحلة «الجماد»، أم «التسوية»، أم بعد «نفح الروح»؟!

ثم أين سند هب بقوله تعالى:

«إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»؟

عاشرًا:

عندما يقول الله تعالى، في سياق بيان «منظومة الخلق»:

«هُوَ الَّذِي خَلَقْتُمْ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمٌّ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ»

نعلم من قوله تعالى «ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ» أن الخطاب لمنكري البعث، يذكرهم بأصلهم الواحد «الطين»، ثم يعلمهم بما يلي:

١ - أن أجلاهم «عمرهم» مسمى عند الله، وليس كما يقولون «وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ»

٢ - أن أجل «بعثهم» أيضا لا يعلمه إلا الله «وَأَجَلٌ مُسَمٌّ عِنْدَهُ»

فكيف أباح المسلمون لأنفسهم «أسلامة» نظرية التطور، وادعاء أنها قامت على أساس قرآنية؟!

الحادي عشر:

خرجوا ببدعة جديدة اسمها «نظرية آذان الأنعام»، ظنوا أنها طوق النجاة لنظرية التطور، فإذا بهذا الطوق هو الذي أغرقهم.

١- لقد استندوا إلى قوله تعالى:

«خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجًا (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةً أَرْوَاجٍ) يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّى تُصْرَفُونَ»

واعترروا أن الأنعام «الضأن والمعز والبقر والإبل» آية نزلت من السماء، وأن هذه الحيوانات هي الوحيدة التي لم تتطور لأن الله أرسلها إلى مجموعة اصطفاها من البشر اسمها «آدم» تحمل إليهم رسالة بوجود خالق لهذا الوجود.

إن «الإنزال»، في لسان العرب، له أكثر من معنى، يقولون: فلان نزل عن رأيه، ومن الإنزال إلهام الناس كيفية التعامل مع المواد الخام لصناعة احتياجاتهم حسب متطلبات كل عصر، قال تعالى:

«يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتُكُمْ وَرِيشًا»

لقد ألم الله البشر كيف يصنعون من المواد الأولية ما يسترون به أجسامهم، كما ألمهم كيف يستفيدون من الأنعام التي «خلقها» أولاً، ثم «ذللها» لهم، قال تعالى:

«أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا (خَلَقْنَا) لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُون. (وَذَلَّلْنَاهَا) لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ»

لقد جاء استخدام فعل «أنزل» في سياقه البلاغي البديع، حيث الحديث عن دلائل الوحدانية «لا إله إلَّا هُوَ فَإِنَّى تُصْرَفُونَ».

إن قوله تعالى: «وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ»، كقوله قبلها «خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» تذكير بفعالية الإرادة الإلهية «كن» في خلق الأنعام «مدحّلة»، كفعالية خلق الزوجين من «نفس واحدة».

٢- استخدموا كلمة «آذان»، الواردة في قول الشيطان:

«وَلَا أَضِلَّنَّهُمْ وَلَا مَنِّيَّنَهُمْ وَلَا مُرَنَّهُمْ فَلَيَبْتَكِنَ آذَانَ الْأَنْعَامِ»

معنى «النداء» والإعلام، فقالوا إن الله أنزل هذه الأنعام لدعوة مجموعة البشر «آدم»، إلى الإيمان بوجود خالق لهذا الكون فوقف الشيطان أمام هذه الدعوة، وفتّن «آدم» ولم يستمعوا لدعوة «آذان» الأنعام.

ولكن المصيبة «العقدية» الكبرى في قول أصحاب «نظريّة آذان الأنعام»:

«يجب أن نعلم أن الله ما تعلم اللغة العربية من أمر القيس أو المعلقات العشر كما تعلمناها نحن... ما كان يحتاج لمرجع من أشعار العرب يجيز له أن يجمع (آذان) بمعنى النداء الواحد إلى (آذان) لتحمل مدلولاً أكبر صدى يدوبي عبر العصور... فكان أن جمع (آذان) إلى (آذان) الأنعام، لتكون جمعاً فريداً وابتكاراً لغوياً يجري مجرى اللغة».

فهل هناك مؤمن مسلم يعلم معنى «تدبر القرآن» يمكن أن يفترى الكذب ويقول عن الله: «فكان أن جمع (آذان) إلى (آذان) الأنعام (لتكون جمعاً فريداً وابتكاراً لغوياً يجري مجرى اللغة)»؟!
يبدو أن هؤلاء «الجهلاء» لا يعلمون هذه الحقيقة القرآنية:

إن الله تعالى إذا أراد أن يأتي بـ «الآذان» بمعنى «الإعلام» استخدم نفس الكلمة ومثال ذلك قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام:

«وَ(أَذْنٌ) فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ»

وعندما اتهم الكافرون النبي بأنه يسمع كلاماً من هنا وهناك، رد عليهم الله تعالى بقوله:

«وَيَقُولُونَ هُوَ (أَذْنٌ) قُلْ (أَذْنٌ) خَيْرٌ لِكُمْ»

إن كلمة «آذان» جمع «أذن»، التي هي آلة السمع، وجملة «آذان الأنعام» مرتبطة بكلمة «فَلَيُبَتَّكُنَّ»، إذن كان يجب أن نبحث عن معنى هذا «التبتّك» الذي أوحى الشيطان به إلى أهل الجاهلية.

إن «البتّك» في اللسان العربي يعني القطع، و«التبتّك» التقطيع فكان العرب في الجاهلية يقدّمون القرابين لآلهتهم، ومن بين هذه القرابين «الناقة»، التي ولدت خمسة أبطُنْ كان آخرُها ذَكَر.

إن هذه «الناقة»، التي وصفت بهذا الوصف، تصبح مُحرّمة، لا يحل لأصحابها الانتفاع بها، ويقومون بعمل شق في أذنها، ليعلم الناس أنها محرّمة للآلهة، فلا يؤذيها أحد.

إن «تبتّك» آذان الأنعام وهي شيطاني، نزل القرآن يحذر الناس منه، أما أصحاب «نظرية آذان الأنعام» فجعلوه «آية إلهية»!! لقد ورد نص قرآني، قطعي الدلالة، في تحريم «تبتّك» آذان الأنعام، فقال تعالى:

«مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ».

- * **البَحِيرَةُ**: «النَّاقَةُ» الَّتِي كَانُوا يَشْقَوْنَ أَذْنَهَا كَعْلَمَةً عَلَى أَنَّهَا مُحرَّةٌ لِلَّاهُ، طَبَعاً بِوْحِيٍّ شَيْطَانِيٍّ «فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ».
- * **السَّائِبَةُ**: النَّاقَةُ الَّتِي يَجْعَلُهَا صَاحِبُهَا نَذْرًا، وَاجِبُ الوفَاءِ.
- * **الوَصِيلَةُ**: الْأَنْثَى الَّتِي تَصْلُ أَنْثَى بِأَنْثَى فَتَسْمَى الْأُمُّ وَصِيلَةً.
- * **الْحَامُ**: فَحْلُ الْإِبْلِ إِذَا نَتَجَ مِنْ صَلْبِهِ عَشْرَةُ أَبْطَنٍ، فَيَقُولُونَ إِنَّهُ حَمَىٰ ظَهَرَهُ، فَهُوَ حَامٌ.

٣- قَالُوا: إِنَّ كَلْمَةَ «آدَمَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

«وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ»

لَا تَعْنِي فَرِدًا «ذَكْرًا»، وَإِنَّمَا «مَجْمُوعَةً مِنَ الْبَشَرِ»، اصْطَفَاهَا اللَّهُ مِنْ «الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ» بَعْدَ مَرْحَلَةِ «الْاِنْقَسَامِ الْخَلْوِيِّ» وَكَانُوا يَعِيشُونَ فِي الْغَابَةِ، ثُمَّ نَفَخَ اللَّهُ فِيهِمُ الرُّوحُ، فَأَصْبَحُوا مَخْلُوقَاتٍ عَاقِلَةً.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ الْأَنْعَامَ عَلَى هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ مِنَ الْبَشَرِ «آدَمَ»، لِتَبْلُغُهُمْ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِ«آذَانَ الْأَنْعَامِ»، أَنَّ لَهُمْ خَالِفًا، فَجَاءَ الشَّيْطَانُ وَأَنْتَرَعَ مِنْ أَذْهَانِهِمْ هَذِهِ الْفَكْرَةُ، وَقَالَ:

«وَلَا أَضِلَّنَّهُمْ وَلَا مَنِينَهُمْ وَلَا مُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ»

فَإِذَا سَأَلَنَا هُمْ:

وَمَنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مِنَ الْبَشَرِ «آدَمَ» الَّتِي اصْطَفَاهَا اللَّهُ لِتَكُونَ هِي «الْعَاقِلَةُ»؟!

قَالُوا عَنْ طَرِيقِ «الْاِنْقَسَامِ الْخَلْوِيِّ» وَالْتَّكَاثُرِ غَيْرِ «الْجَنْسِيِّ»!!

قالوا: ثم حدث بعد ذلك تغيير في الوظيفة، فظهر الذكر والأنثى وبدأ التكاثر الجنسي المعروف وأن استخدام القرآن لكلمة إنسان في بداية الخلق، استخدام مجازي، لا يعني الإنسان المعروف. اللافت للنظر والغريب حقاً، أنهم يستندون في هذا الخيال العلمي الذي يعيشون بداخله، إلى قوله تعالى:

«الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَا خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلْلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ»

وقد بيّنت هذه الآيات من قبل.

٤ - لقد استخدم السياق القرآني كلمة «إنسان»، كما استخدم كلمة «بشر»، في سياق الخلق الأول، على حد سواء، لم يفرق بينهما وجاءت قصة الشيطان مع آدم وزوجه في سياق الآيات التالية:

* «وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ (فَكُلا) مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا (تَقْرَبا) هَذِهِ الشَّجَرَةِ (فَتَكُونَا) مِنْ الظَّالِمِينَ»

* «فَوَسْوَسَ (لَهُمَا) الشَّيْطَانُ لِيُبَدِّيَ (لَهُمَا) مَا وُرِيَ (عَنْهُمَا) مِنْ (سَوْاتِهِمَا) وَقَالَ مَا (نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا) عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ (تَكُونَا) مَلَكِينِ أَوْ (تَكُونَا) مِنْ الْخَالِدِينَ»

* «وَ(قَاسَمَهُمَا) إِنِّي (لَكُمَا) لَمِنْ النَّاصِحِينَ»

لقد جاءت صيغ المثنى في هذه الآيات تشير إلى «آدم» الذكر وإلى «زوجه» الأنثى، فكيف جمع «آدم» بين الذكر والأنثى؟!

لقد بين القرآن، بنص قطعي الدلالة، أن خلق «آدم وزوجه» كان بالأمر المباشر، ولم يكن مطلقاً نتيجة «الانقسام الخلوي»، فقال تعالى:

«وَاللَّهُ خَلَقْكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلْكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ
عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»

١ - «وَاللَّهُ خَلَقْكُمْ مِنْ تُرَابٍ»

مادة الخلق الأولى التي انتهت إلى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ»

٢ - «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ»

آية «الجعل» وهي التقاء ماء الرجل ببويضة الأنثى، التي حدثت بعد «الخلق» الأول، فتدبر:

«وَلَقَدْ (خَلَقْنَا) الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ (جَعَلْنَاهُ) نُطْفَةً فِي
قَرَارٍ مَكِينٍ»

٣ - «ثُمَّ جَعَلْكُمْ أَزْوَاجًا»

فتدبر: «وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا ثُمِنَى»

فمن أين جاؤوا بهذا الخيال العلمي، الذي إن دل على شيء فإنما يدل على مصيبة فكرية يعيش بداخلها أصحاب القراءات القرآنية المعاصرة، بدعاوى أن القرآن يبيّن نفسه؟!

الثاني عشر:

سؤال للمدافعين عن «نظريّة التطور»:

ولماذا لا تكون حفريات سلالة «القرود»، التي تحدث عنها «الدارونيون» والتي يستدلّون بها على أن أصل الإنسان «قرد» هي حفريات «بنو إسرائيل»، الذين قال الله تعالى لهم:

«وَلَقَدْ عِلِّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبَّتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدًا خَاسِئِينَ»؟!

على كل حال، فكما قلت في مقدمة هذه الدراسة، أنا لن أتعرض إلى النظرية ذاتها، فمن السهل جداً الوقوف على أنها مجموعة من قصص الخيال العلمي بأن تتفرغ ساعة على شبكة الإنترنت وابحث عن «انفجار الكامبرى»، الذي انتزع نظرية التطور من جذورها.

ومجمل القول:

إن المصدر الوحيد، الذي حمل «لسان العرب» الذي نزل به القرآن، والذي لا يملك الناس في العالم أجمع غيره، هو المراجع التي حملت علوم «اللغة العربية».

لذلك فإن الذين يقولون إن القرآن ليس في حاجة إلى علوم «اللغة العربية» لبيان آياته ولا لعلم «السياق القرآني»، هؤلاء هم الذين يُلحدون في الآيات القرآنية لإقامة دين معاصر لا يحمل ملةً ولا شريعةً، هؤلاء الدين قال الله فيهم:

«إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمْنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي أَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»